



إنَّ أَرْضَ الشَّامَ تَكْتَسِبُ أَهْمَيْتَهَا مِنَ الْبَرْكَةِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي حَبَّاَهَا اللَّهُ بِهَا فِي مَوَاضِعٍ مِّنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

- أ- {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَّلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِتُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. [الإِسْرَاءُ: 1]
- ب- {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}. [الْأَعْرَافُ: 137]، وَبَنُو إِسْرَائِيلُ أَوْرَثُوا مَشَارِقَ، وَمَغَارِبَ بَلَادِ الشَّامِ.
- ج- {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}. [الْأَنْبِيَاءُ: 71].

وَفِيهَا نَصْوُصُ نَبُوَيَّةٍ مَّتَوَاتِرَةٍ تَدَلُّ عَلَى هَذِهِ الْمَكَانَةِ السَّامِيَّةِ:

- أ- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا)) قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا)) قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: ((هُنَاكَ الْزَلَّازُ وَالْفِتْنَ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ))

- ب- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نُوَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((طُوبَى لِلشَّامِ))، فَقُلْنَا: لَأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((لَأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنَ بِاسْطَةٍ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهَا)).
- ج- عَنِ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً جُنُدُّ بِالشَّامِ، وَجُنُدُّ بِالْيَمَنِ، وَجُنُدُّ بِالْعِرَاقِ))، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: "خَرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ"، فَقَالَ: ((عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَمَمَّا إِنْ أَبْيُّمْ، فَعَلَيْكُمْ بِيَمِنِكُمْ، وَاسْفُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ)).
- هـ- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامَ فَلَا خَيْرٌ فِيهِمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي مُنْصُرُوْنَ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَلْلِهِمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) وَجَاءَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ هُمْ بِالشَّامِ.
- وَهِيَ مَهْبِطُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَسْرِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَفِيهَا أَرْضُ الْمَحْشَرِ، وَفِيهَا يَتَحَوَّرُ الصَّرَاعُ الْعَالَمِيُّ، وَيَنْزَلُ عِيسَى بْنُ مُرِيمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالشَّامِ فَيَجْتَمِعُ مَعَهُ الْمُؤْمِنُونَ لِقَاتَلِ الدَّجَالِ، وَهُنَاكَ يَقْتَلُهُ الْمَسِيحُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِبَابِ لَدِ.

هَذِهِ الْأَرْضُ الْمَبَارَكَةُ الْيَوْمَ يَعِيشُ فِي جَانِبِهَا الْغَرْبِيِّ الْفَلَسْطِينِيُّونَ تَحْتَ الْوَطَأَ الْيَهُودِيَّةِ الْغَاصِبَةِ الْمُسْتَنْدَةِ إِلَى الْمَعْسَرِ

الصليبي الحاقد، ومن جانبها الشرقي السوري تحت وطأة التصيرية الباطنية المارقة المرتدة إلى المعسرك الصفوی الفارسي، وبين هذين القطبين العدوين للإسلام والمسلمين تکمن الكارثة الجائمة على صدور أبناء الشام جند الله في أرضه وطلائع الطائفة المنصورة، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله - صلی الله عليه وسلم -.

فإذا تبین لنا أهمیة بلاد الشام، وما تکتبه من مكانة محوریة في تاريخ الصراع بين الحق والباطل؛ فإنّ الأمة الإسلامية قد تحمّل عليها اليوم أن تقوم بواجب الوقت وفرضية الزمان في نصرة الشام وأهله.

وإنّ ما يمارسه اليوم النظام الطائفي النصيري بأهلنا في بلاد الشام ليؤكّد لنا مدى الحقد والعداوة التي يكنّها هؤلاء الباطنية نحو المسلمين في كلّ مكان، وزمان أسوة بأسلافهم في غابر الأزمان.

ولا ريب أنّ مسؤولية العلماء الربانيين تأتي في المقدمة؛ لما أنّاط الله بهم من البيان وإقامة الحجّة على العباد، ولما يقع على عاتقهم من التبعات التي لا تغفر أحداً من فريضته القيام لله بنصرة دينه، وإعلاء كلمته، {وَإِنَّا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمُهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ}. [النساء: 83]، ونحن إذ نقدر ما قام به علماء الإسلام اليوم نحو إخوانهم في بلاد الشام جماعات وأفراداً، إلا أنّ ذلك لم يسقط الواجب عنهم حتى يتحقق النصر - بإذن الله - لإخواننا المضطهدين المستضعفين المبغى عليهم من قبل جحافل النظام السوري، المتسلط على رقاب العباد، الذين يسومون الناس سوء العذاب، لا يرحمون شيئاً، ولا عجوزاً، ولا امرأة، ولا طفلاً، ولا يرعون حرمة لدماء أو أموال أو أعراض، شأنهم في ذلك شأن اليهود والمرشكيين في الإيغال في العداوة والبغضاء؛ {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِالْيَهُودِ وَاللَّذِينَ أَشْرَكُوا}. [المائدة: 82].

وإذا كان من شيء نذكر به في دور العلماء وما يلزم، ويتوجّب عليهم نحو هذه الكارثة الإنسانية التي تعصف ببلاد الشام فيمكن أن نجمله في الآتي: -

أولاً: - كشف وفضح المخططات الباطنية الرافضية لجميع أبناء الأمة الإسلامية؛ حتى يتبيّن لهم حقيقة هؤلاء الأعداء، وما يكتونه من مكر وخداع وتضليل للمسلمين، مع بيان تاريخ هؤلاء المخزي، وما أقدموا عليه من نكبة بهذه الأمة، قدّيماً وحديثاً، وما يبيّنونه من الدسائس والمؤامرات الجلية والخفية، ليهلك من هلك عن بيته ويحيا من حي عن بيته.

فالبيان والبلاغ المبين اليوم، لا مناص عنه، ولا يجوز أبداً أن يكون في ذلك أدنى مواربة أو تستر على هؤلاء المجرمين، أو إيجاد أيّ مسوّغ شرعيّ أو قانونيّ لما يقومون به من أعمالهم النكارة، وجرائمهم الشنّاعة.

ثانياً: - دعوة المسلمين كافة إلى نصرة إخوانهم في بلاد الشام، بكلّ ما يقدرون عليه مادياً، ومعنوياً، وتحمّل الأنظمة العربية والإسلامية، مغبة السّكوت على جرائم هذا النظام، وخطر ذلك على الأمة بأسرها؛ إذ السّكوت والتّغاضي عن هذه المأساة يُعدّ - بحد ذاته - نوعاً من أنواع التّواطؤ مع هذا النظام! ومن متطلبات هذه النّصرة:

1. قطع العلاقات مع هذا النظام الإجرامي، وطرد سفراهه كأقلّ واجب للتعبير عن رفض هذه الغطرسة الإجرامية.
2. استعمال جميع الوسائل القانونية التي تبرز أعمال هذا النظام، في المحافل كافة وممارسة جميع وسائل الضغط، وإسقاط الشرعية عنه حتى يتهاوى، ويرحل غير مأسوف عليه، ويسقط كما سقطت أنظمة دكتاتورية قبله.
3. الدّعم المالي والإعلامي للمجاهدين في سبيل الله، مع إيصال السلاح إليهم ليدافعوا عن أنفسهم، وهو حقّ كفلته لهم الشّريعة الإسلامية، وسائر النّظم والقوانين البشرية.
4. نشر قضيتهم إعلامياً، والذّكير بأبعاد هذا المخطط الفارسي الم Gorsy الذي يستهدف المنطقة بأسرها لا الشّام فحسب؛ بل يتعدّى ذلك إلى الخليج واليمن وسائر البلاد الإسلامية.

5. فتح المجال وإقامة الهيئات الشّعبية فيسائر البلدان لنجد المظلومين، وجمع التبرّعات لهم عن طريق هذه الهيئات، والمنظّمات والجمعيات الخيرية للقيام بحملات الإغاثة للمنكوبين من اليتامي، والثّكالي، والجرحى وسائر المتضرّرين.

ثالثاً: دعوة أبناء الشعب السوري إلى توحيد الصّفوف وجمع الكلمة، وتضافر الجهود، وتوجيهها للتخلص من هذا النّظام الجبروتي، مع حثّهم جميعاً على الاعتصام بحبل الله جميّعاً، وعدم التّنافر عملاً بقوله - تعالى -: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفَشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}. [الأنفال: 46].

فعلى الجميع من أبناء الشعب السوري مدنيّين وعسكريّين، أن يبذلوا قصارى جهدهم لإسقاط النّظام السوري، وإلّا فهذا الهزيمة به، حتّى يذهب إلى مذبحة التاريخ كما ذهب أسلافه.

رابعاً: إصدار بيان واضح من علماء الإسلام كافة يؤكّد فيه على انعدام الشرعية عن النّظام السوري باعتباره نظاماً نصيريّاً باطنّياً مارقاً عن الدين، لا يستند إلى أيّ صفة شرعية أو قانونية.

خامساً: ضرورة التذكير بنصر الله وتأييده، والصّبر على منازلة هذا العدو الغاشم، موقنين بأنّ نصر الله قريب، وأنّ مع العسر يسراً، مع بعث الأمل في نفوس المؤمنين وتنشيط عزائمهم مذكّرين بقوله - تعالى -: {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. [آل عمران: 139]، وبقوله - تعالى -: {إِنْ تَكُونُوا تَائِلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}. [النساء: 104].

سادساً: بيان أهميّة بلاد الشّام من جهة محوريّة الصراع بين الحقّ والباطل، وما يتعلّق بذلك من الملاحم في آخر الزّمان، وما قد يكون لهذه الأحداث من إرهاصات تبشر بزوال فجر الإسلام، كما جاء في حديث أبي الدرداء إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ: ((يَوْمَ الْمَلَحَّةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ، بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْعُوْطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمْشَقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ)).

وقد أكّد لنا التاريخ ما وقع على أرض الشّام من صراع بين المسلمين والصلّبيّين، وما قام به أهل الشّام من ردّ هؤلاء الغزاة المعتدين، وكذلك ما وقع من التّنافر على أرضها، وما فعلوه من دمار وخراب أدى بعد ذلك إلى انتصار جند الله عليهم.

فبلاد الشّام إذاً ساحة للصراع الحضاريّ قديماً وحديثاً ومستقبلاً.

سابعاً: بيان خطورة التعاون مع هذا النّظام من قبل الجيش أو الأمن أو بقية أفراد المجتمع السوريّ بأيّ شكل من الأشكال، وأنّ ذلك التعاون مما حرمّه الله لما فيه من التّنافر على الإثم والعدوان، وممالة الظّالمين؛ {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَأَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ}. [القصص: 17]، {فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ}. [القصص: 86].

والواجب على أهل القوّة في سوريا أن يقوموا بحماية أهاليهم، والذّبّ عن دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، ونصرة دينهم.

ثامناً: - حتّى المسلمين في كلّ مكان على نصرة إخوانهم المظلومين عملاً بقوله - تعالى -: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْ لِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَقْعُلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}. [الأنفال: 73]، كلّ بما يقدر عليه، ومن ذلك إقامة المظاهرات، والمؤتمرات، والمسيرات التي تحرّك القضية لدى الشّعوب لتفاعل مع هذه الأحداث، والدّعوة إلى التّوبة إلى الله من جميع الذّنوب، وتذكير المسلمين بإقامة الدين وتحكيم شريعة الله مع التذكير بأهميّة الدّعاء، والقنوت في الصّلوات، سائلين من الله - تعالى - أن يعجل بالفرج لإخواننا المظلومين في بلاد الشّام، وفي سائر البلدان.

وحسبي الله ونعم الوكيل.

و الله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

المصادر: